الرواة الأوائل لصحيح البخاري
من علماء الجزائر

ط.علال بوربيق /أ.د.سليماني عبد القادر
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية
جامعة وهـــران

ألف الإمام البخاري (194هـ- 256هـ)، كتابه النفيس، المسم بـ"الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه."، بعد سماعه لكلمة ألقيت في أحد المجالس العلمية التي كان يقيمها الإمام الحافظ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، المعروف بـ"ابن راهوية" (238هـ).

ولم أقف عل من حدد تاريخ بداية التأليف، إلا أنه يمكن استنباط ذلك من خلال بعض الحوادث المسجلة في ترجمته، فقد بدأت فكرة التأليف في مدينة نيسابور، وفي مجلس عالمها ومسندها إسحاق بن راهوية(238هـ)، المقيم بمدينة نيسابور.

فقد ذكر تلميذه محمد بن يوسف الفربري قال: قال لنا أبو عبد الله البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا في الصحيح لسنن رسول – صلى الله عليه وسلم –، فوقع ذَلِكَ في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب." (1)

وقد ذكر الحاكم النيسابوري أن الإمام البخاري دخل مدينة نيسابور مرتين أولاهما كانت سنة (209هـ)، والثانية كانت في أخر حياته.

إذا فبداية التأليف كانت بعد سنة (209هـ).

ومن المعلوم أن الإمام البخاري أمض في تأليف جامعه (16) سنة، ولما أتمه عرضه عل عادة العلماء في ذلك الزمان عل حفاظ عصره، وهم: الإمام يحيى بن معين(233هـ) والحافظ علي بن المديني(234هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (241هـ) ، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث.

وعليه فإن سنة (233هـ)، عل أقص تقدير؛ هي نهاية التأليف، لأنها السنة التي توفي فيها الإمام يحيى بن معين(233هـ)

إذاً صنف الإمام البخاري صحيحه ما بين سنتي (209هـ)، و(233هـ)، ومكث في تأليفه (16) سنة، وانتخبه من (600.000) حديث، وورد أنه قال:"صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله –عز وجل–" (2)

وقد أحاط الإمام البخاري صحيحه بمجموعة من القربات والعبادات، ليحصل له القبول عند الله، وليضع له الرضى عند الناس فقال:"ما كتبت في كتاب الصحيح حديثا إلا **اغتسلت** قبل ذلك، و **صليت** ركعتين." (3)، وفي رواية:"ما أدخلت فيه حديثًا إلا بعد ما **اسْتخرت الله** تعالى **وصليت ركعتين**، و**تيقنت صحته**." (4)

فهي اغتسال، وصلاة، واستخارة، وتطبيق محكم لمنهج دقيق في الرواية والنقد.

ثم ختم ذلك باختياره لأشرف بقعة في الوجود، فقد شهد عدة مشايخ: أن محمد بن إسماعيل البخاري حول تراجم جامعه – يعني بيضها– بين قبر النبي صلى الله عليه و سلم ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين." (5)

واجتهد في إسماع مصنفه الجليل، وكثر الراغبون في سماعه، حتى بلغ من سمعه عنه تسعون ألف راو، يقول الإمام محمد بن يوسف الفربري:" سمع جامع البخاري، منه تسعون ألفا ، فلم يبقَ منهم أحد يرويه غيري، وقال: قرأت على البُخاري صحيحه ثلاث مرات، مرة سنة (251هـ)، ومرة سنة (253هـ)، ومرة سنة (255هـ)." (6)

وفي رواية أخر:" كان سماع الفربري من البخاري -يعني: "صحيحه"- مرتين: مرة بفربر سنة(248هـ)، ومرة ببخارى سنة(252هـ)." (7)

وحدث عن الفربري فئام من الناس منهم: الفقيه ، والحافظ أبو علي بن السكن (353هـ)، أبو زيد المروزي(371هـ) ومحمد بن محمد الجرجاني(373هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي (376هـ)، ومحمد بن عمر بن شبويه (378هـ)، وأبو محمد بن حمويه السرخسي (381هـ)، وأبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي (386هـ) وأبو الهيثم الكشميهني(389هـ)، وإسماعيل بن حاجب الكشاني(391هـ)

وانتشرت رواية الصحيح في البلدان، فكان أول من أدخله لإفريقيا، الإمام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز (353هـ)، يقول الذهبي في ترجمته:" كان أول من جلب الصحيح إلى مصر، وحدث به." (8)

وأول من أدخله إلى القيروان، حافظها ومسندها الكبير، الإمام أبو الحسن علي بن محمد القابسي(403هـ)، وذلك سنة (357هـ).

وأول من أدخله إلى بلاد الأندلس، الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)، وذلك سنة (365هـ).

وكانا قد رحلا معا – القابسي والأصيلي– سنة ، ولقي بالمشرق طائفة من تلامذة الإمام محمد بن يوسف الفربري (320هـ) راوي الصحيح عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)

- وفي هذه الدراسة سأتناول أربعة من علماء الجزائر، كان لهم مساهمة كبيرة في رواية الجامع الصحيح، وذلك من خلال الرحلات التي قاموا بها شرقا وغربا، من أجل سماعه، والتحديث به فيما بعد، وهم:
- الإِمَامُ أبو جعفر زكرياء بن بكر التيهرتي.
- الإِمَامُ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني.
- الإِمَامُ أبو بكر يحي بن عبد الله الوَهْرَانِي.
- الإِمَامُ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى التَّمِيمِي، التِّيهَرْتِي(505هـ)

أولا: – الإِمَامُ أبو جعفر زكرياء بن بكر التيهرتي.

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو أبو جعفر زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني، التيهرتي، المعروف بـ"ابن الأشج"، ويكنى أيضا: بـ"أبي يحي."(10)

الغساني: منسوب إلى غَسَّانِ مازنِ بنِ الأزدِ بن الغَوث، قال الدَّارَقَطني: قبيلة، وقال أبو نَصر وغيره: ليس قبيلة، وإنما هو ماء. وقال ابن الكلبي: مازن إليه جِماع غَسَّان. وإنما غسان ماء شربوا منه فسُمي غَسَّان، وقال في ذلك الأنصاري:

إمَّا سَأَلتِ فإنَّا معشر نُجُب ... الأزدُ نسبتُنا والماءُ غَسَّانُ (11)

وعليه فابن الأشج التيهرتي يرجع نسبه إلى القبائل العربية الداخلة إلى إفريقيا أيام الفتح أو بعده.

التيهرتي: نسبة إلى مدينة تيهرت، التي بناها الرستميون، وكانوا قديما يقولون عنها: عراق المغرب، وبعضها على جبل جزول، ويمر بها نهر يقال له: مينة، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهي اليوم إحدى مدن الغرب الجزائري، تبعد عن عاصمة البلاد بحوالي:268كلم.

وابن الأشج: هو لقب جده الثاني، واسمه: أحمد.(12)

مولده: قال تلميذه الإمام ابن الفرضي:"قال لي: ولدت بتيهرت سنة (310هـ)عشرة وثلاث مائة."(13)

شيوخه ورحلته في طلب العلم

لا ندري على وجه التحديد سبب هجرة هذه العائلة من تيهرت إلى الأندلس، إذ قد عرفنا سابقا أن ابن الأشج التيهرتي، ولد بمدينة تيهرت، و قد حدد الإمام ابن الفرضي تاريخ هذه الهجرة فقال:" دَخَل الأندلُس مع أبيه وأخيه سنة (326هـ)."(14)

لكننا نستطيع تحديد سبب هجرة الناس في ذلك الزمان، فهي راجعة إلى أسباب ثلاثة في نظري:

أولها: الاضطراب السياسي الواقع في مدينة تيهرت.

ثانيا: طلب العلم، فقد كانت بالأندلس حضارة لا نظير لها في ذلك الزمان، والعلم تبع للعمران كما يقول العلامة ابن خلدون.

ثالثا: التجارة، فقد عرفنا أن ابن الأشج التيهرتي كما يصفه تلميذه الإمام ابن الفرضي:"كان الغالب عليه التجارة."(15)

و مهما يكن سبب تنقل العائلة، فإن عالمنا ابن الأشج التيهرتي، اشتغل بالعلوم وتمهر فيها، ولازم مجالس العلم ونهل منها، وتنقل بين مدن الأندلس، فلازم بإشبيلية وقرطبة جماعة من الأئمة منهم:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن أيمن(330هـ): سمع منه المدونة.
- أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبي (340هـ)

وكانت الرحلة إليهما في زمانهما بعد عودتهما من المشرق بعلم غزير، ورواية عالية.(16)

وبعد ما نهل ابن الأشج التيهرتي من قرطبة علومَها، توجه نحو المشرق، فقصد مصر فسمع بها من:

- أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز (353هـ)
- أبي محمد عبد الله بن جعفر بن الورد المصري (351هـ)
- أبي قتيبة سلم بن الفضل البغدادي (351هـ)، نزيل مصر
- أبي محمد الحسن بن رشيق المصري(370هـ)(17)

ولقي بمصر: أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر (354هـ)، وأخذ عنه ديوان شعره رواية، ثم شد الرحال إلى تنس، فلقي بها أبا الخصيب (ت ؟)، فسمع منه ولازمه.

ثم قفل راجعا إلى الأندلس فلم يزل معلما، وراوية للحديث والشعر.(18)

إلى أن توفي بها ليلة الأربعاء لإحدى عشر يوما خلت من شهر رمضان سنة (393هـ) ثلاث وتسعين وثلاث مائة. ودفن يوم الأربعاء بمقبرة متعة."(19)

تلاميذه

اهتمت المصادر الأندلسية التي ترجمت للأعلام بذكر تلامذة الإمام ابن الأشج التيهرتي، وهذا ما وقفت عليه من خلال كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وكتاب الصلة لابن بشكوال:

- أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بـ"ابن الفرضي"(403هـ)(20)
- أبو حزم جهور بن محمد القرطبي(435هـ)(21)
- أبو عثمان سعيد بن عيسى بن ديسم الغافقي القرطبي(422هـ)(22)
- أبو عبد الله محمد بن مضي النحوي القرطبي(ت ؟)(23)
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعافري القرطبي (439هـ)(24)
- أَبُو الْقَاسِم الْعقيليّ القرطبي (400هـ)(25)

روايته لصحيح البخاري.

ظل أهل المغرب والأندلس محرومين من رواية الصحيح قرابة قرن من تأليفه، إلى أن قيض الله له رجالا، اعتنوا به، ونقلوه إلى إفريقيا، وكان في مقدمتهم الإمام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري البزاز(353هـ)، أصله بغدادي، نزل مصر بعد أن أكثر الترحال ما بين النهرين: نهر جيحون، ونهر النيل، يقول الإمام الذهبي عنه:" سمع بخراسان صحيح البخاري من محمد بن يوسف الفربري، فكان أول من جلب الصحيح إلى مصر، وحدث به."(26)

فكانت فرصة سانحة لابن الأشج التيهرتي أن يلاقي هذا الإمام حين دخوله مصر، ويسمع منه هذا السفر العظيم.

ولما ورد ابن الأشج التيهرتي إلى الأندلس وجد الإمام الأصيلي(392هـ)، يحدث بالصحيح، فتنكب عن منافسته، ولندع القاضي عياض، يسرد لنا هذه القصة كما هي في ترتيب المدارك إذ يقول:" ولما ورد أبو يحيى ابن الأشج من أهل المشرق، وكان قد روى **كتاب البخاري**، سئل إسماعه فقال: لا يراني الله أحدث به والأصيلي حي أبدا، فلما مات الأصيلي أسعف."(27)

فجلس بعد وفاة الإمام الأصيلي، يحدث ويجيز، قال ابن الفرضي:"حدث **بكتاب البخاري** وغير ذلك من روايته، وسمعنا منه كثيرا، وكتب عنه غير واحد.. وأجاز لنا جميع ما رواه."(28)

وعليه **فسنده إلى الإمام البخاري** هو كالتالي:

أبو جعفر زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني التيهرتي(393هـ)، عن الإمام أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن(353هـ)، عن الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري(320هـ)، عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(256هـ)

ثانيا: الإِمَامُ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني.

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر، يعرف بـ"ابن الخراز"، الهمداني، المغربي، الوهراني ثم البَجَّانِي.(29)

الهمداني: منسوب إلى هَمْدان، واسمه أَوْسَلَةُ بنُ مالك بنِ زيد بنِ ربيعة بنِ أَوْسَلَة بنِ الخِيَار بنِ مالك بنِ زيد بنِ كهلان بنِ سبأ، الشعب العظيم، يُنسب إليه بشر كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والشعراء.(30)

الوهراني: نسبة إلى مدينة وهران، وقد أثبت له هذه النسبة، الإمام ابن بشكوال(هـ)، والإمام الذهبي(748هـ)، والإمام الحميدي(هـ)، والإمام ابن عبد البر(463هـ)، وهي إحدى أكبر مدن الجزائر، تقع في شمال غربها، على بعد (432)كيلومتر من عاصمة البلاد (الجزائر).

البَجَّاني: نسبة إلى مدينة بَجَّانَة، وهي بالفتح ثم التشديد، وألف، ونون، ذكرها ياقوت الحموي فقال: مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة، خربت، وقد انتقل أهلها إلى المريّة، وبينها وبين المرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة مائة ميل.(31)

و نسب إليها لأن عائلته استوطنتها.

مولده: نقل الإمام الحميدي(488هـ)، عن ابن شنظير (402هـ) أنه قال:"إن مولده في سنة(338هـ)ثمان وثلاثين وثلاث مئة."(32)

شيوخه ورحلته في طلب العلم

سافر في طلب العلم، والتكسب حتى وصل إلى أقصى خراسان، وعني بالرواية، وطالت رحلته حتى قال ابن ناصر الدين الدمشقي (842هـ):"له رِحْلَة وَاسِعَة، أَقَامَ فِيهَا نَحْو عشْرين سنة."(33)

فمر في طريقه بالقيروان، فسمع من أبي العرب تميم بن محمد القيرواني(359هـ)

و بمصر من : أبي محمد الحسن بن رشيق المصري(370هـ)، و غيره.

و توجه إلى الحجاز قاصدا مناسك الحج

ثم دخل بغداد: فسمع بها من أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك بن حمدان القطيعي (368هـ)، والقاضي أبي بكر الابهري(375هـ)، وطائفة.

ثم رحل إلى مدينة بلخ: فروى بها عن: إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ) صاحب الإمام الفربري.

ومنها إلى مرو: فسمع بها من محمد بن عمر بن شبويه(378هـ)، صاحب الإمام الفربري.وقدم إلى بلاده بإسناد عال جدا.(34)

تلاميذه

الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (463هـ)

الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري(456هـ)

الإمام الحافظ المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (444هـ)

أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذاء القرطبي(467هـ)

أبو أحمد بن يوسف بن حماد الصدفي الطليطلي، يعرف: بابن العواد(450هـ)

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أسود الغساني(467هـ)

أبو عبد الرحمن معاوية بن محمد بن أحمد بن معارك العقيلي: من أهل قرطبة(499هـ)

وآخرون.(35)

روايته لصحيح البخاري.

ولكي يحصل على إسناد عال رحل عالمنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني(411هـ)، إلى بلاد خرسان، ولقي بها مسندا الوقت في زمانهم الإمام محمد بن عمر بن شبويه(378هـ) بمرو، والإمام إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ) ببلخ، وقد سمعا من الإمام محمد بن يوسف بن مطر الفربري (320هـ)، راوي الصحيح عن الإمام البخاري(256هـ)، ورجع إلى بلاده يحمل إسنادا عاليا، وحدث بصحيح البخاري بحسب تعبير الإمام الذهبي.(36)

وقد احتفظ لنا الإمام ابن بشكوال(578هـ) بطرف من رحلته التي أملاها على تلامذته، فقال:" أخبرنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله قال: أنا أبو القاسم حاتم بن محمد ونقلته من خطه قال: أملي علينا **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد**

الهمداني رضي الله عنه قال: لما وصلت إلى مدينة **مرو**، من مدائن خراسان، سمعت **الجامع الصحيح** على **محمد بن عمر بن شبوية المروزي(378هـ)** ، فسمعنا عن شيخ بها يروي الحديث، فأتيناه لنروي عنه أيضا.

وكان اسمه علي بن محمد الترابي يعرف به، فوجدنا معه كتابا غير بين، فوجدناه يقرأ في المصحف، وعند أصحاب الحديث أن من لا يستظهر القرآن عن ظهر قلب فهو ناقص.

وكان الرجل إماما في الحديث، فقلنا له: مثلك يقرأ في المصحف؟

فقال: ليس في أصحاب الحديث أحفظ مني للقرآن، وذلك أني أصلي به الأشفاع في كل عام، وأنا إمام قومي، فلما كبر سني ضعف بصري، فتركت القراءة في المصحف، وكان ابن أخي يقودني إلى المسجد، أصلي بالناس الفريضة، فنمت ذات ليلة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي: لم تركت القراءة في المصحف ؟

فقلت: يا رسول الله ذهب بصري.

فقال لي: ارجع إلى القراءة في المصحف يرد الله عليك بصرك.

فقمت فتوضأت وصليت وكانت ليلة طويلة من ليالي الشتاء فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي:؛ أقرأ في المصحف يرد الله عليك بصرك. ففكرت في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" **من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي** "(37)

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد وابن أخي يقودني، ولا أرى شيئا، فصليت بقومي الفريضة ثم انصرفت إلى منزلي، فقلت لهم: اعطوني المصحف. فقال لي أهلي: وما تريد من المصحف؟

قلت لهم: انظر فيه. فأخذت المصحف وفتحته وأخذت في القراءة ظاهرا وأنا أفتح المصحف ورقة ورقة فما طلع النهار إلا وأنا أقرأ في المصحف، وأرى حروفه أجمع، ثم تماديت في القراءة إلى الظهر، فلم يأت الظهر إلا وأنا أرى كما كنت أرى، وأنا أحدث فهذا شأني."(38)

فعلى هذا يكون سنده إلى صحيح البخاري كالتالي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني(411هـ)، عن الإمام محمد بن عمر بن شبويه(378هـ) بمرو.

وعن الإمام إبراهيم بن أحمد المستملي(376هـ) ببلخ، عن الإمام محمد بن يوسف بن مطر الفربري (320هـ)، عن الإمام البخاري(256هـ)

وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر:"وأما رواية عبد الرحمن الهمداني عن شيخه –المستملي– فأخبرنا بها أبو حيان محمد بن حيان ابن العلامة أبي حيان إذنا مشافهة عن جده أبي حيان عن أبي علي بن أبي الأحوص عن أبي القاسم بن بقي عن شريح عن علي بن أحمد بن سعيد –ابن حزم– عن عبد الرحمن..."(39)

وكانت وفاته في ربيع الأول سنة (411هـ).

نماذج من روايته للصحيح

أولا: قال الإمام الحافظ ابن حزم الظاهري: حَدَّثَنَا **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ** ثنا إبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَبْرِيُّ ثنا الْبُخَارِيُّ ثنا آدَم بْنُ أَبِي إيَاسٍ ثنا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَر وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ:" **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.**"(40)

ثانيا: قال الإمام الحافظ ابن حزم الظاهري:" حَدَّثَنَا **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمَذَانِيُّ** ، حَدَّثَنَا ابْنُ شَبُّوَيْهِ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الْخِيفُ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ."(41)

ثالثا: قال الإمام الحافظ أبو عمرو الداني: حَدَّثَنَا **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ** ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَبُّوَيْهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ، فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي "، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي، مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى ". قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ:"اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ."(42)

ثالثا: الإِمَامُ أبو بكر يحيى بن عبد الله الوَهْرَانِي.

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو أبو بكر يحيى بنُ عبد الله بنِ محمد بنِ يحيى الجُمَحِي القُرَشِي الوَهْرَانِي.(43)

القُرَشِي: منسوب إلى قريش، وهم ولد النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلْيَاس بن مُضَر. قيل: سُمِّي قُرَيْشا لأنه جَمَع أهله بعدما تفرقوا، والتقرُّشُ: التجمُّع، وقيل غير ذلك.(44)

الجُمَحِي: منسوب إلى جُمَح بنِ عمرو بنِ هُصيص بنِ كعب بنِ لؤيّ بنِ غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزيمة، بطن من قريش منهم آل مظعون وغيرهم، وعامتهم بمكة.(45)

الوهراني: نسبة إلى مدينة وهران، فقد سكنها آباؤه، وولد بها، سنة (360هـ)، ثم رحلوا إلى الأندلس في طلب العلم والتجارة.

شيوخه ورحلته في طلب العلم

رحل إلى الأندلس في شبيبته، وسمع بها على جملة من الشيوخ منهم:

-الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)(46)

-أبو عمر أحمد بن سعدى الإشبيلي(ت ؟)(47)

-أبو بكر عباس بن أصبغ الحجاري (386هـ)(48)

-أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن العطار(399هـ)(49)

-أبو نصر هارون بن موسى النحوي(401هـ)، وغيرهم.(50)

تلاميذه

أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني الإشبيلي(456هـ) (51)

أبو محمد بن خزرج (ت ؟) (52)

كان متصرفا في العلوم، قوي الحفظ، غلب عليه علم الحديث.

روايته لصحيح البخاري.

ولما دخل الإمام أبو بكر يحي بن عبد الله الوهراني الأندلس، وافق بها رجوع الإمام أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ)، قافلا من المشرق سنة (366هـ) بعلم جم، وأسانيد عالية، وأغلاها وأنفسها، الجامع الصحيح، فقد كان أول من أدخلها إلى بلاد الأندلس.(53)

وكان الغالب عليه علم الحديث، وصف بذلك ابن الفرضي حيث قال:"وكان متصرفا في العلوم قوي الحفظ، حسن الفهم. وكان علم الحديث أغلب عليه."(54)

وروايته للصحيح عالية عند أهل الأندلس، وسنده إلى البخاري كالتالي: أبو بكر يحي بن عبد الله الوهراني(430هـ) عن أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(392هـ) عن الإمام أبي زيد محمد بن أحمد المروزي(371هـ)، والإمام أبي أحمد محمد بن محمد الجرجاني(373هـ)، معا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري (320هـ) عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري(256هـ)

رابعا: الإِمَامُ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى التَّمِيمِي، التِّيهَرْتي.

اسمه وكنيته ونسبته ومولده

هو مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى بنِ حُسَيْنٍ بن أبي السعد، أبو عبد الله التميمي، التيهرتي، نزيل سبتة.(55)

و التَّمِيمِي: نسبة إلى تَمِيم بن مر بن أد بن طابخة بن إلْيَاس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان.(56)

و التِّيهَرْتي: نسبة لمدينة تيهرت، وقد تقدم التعريف بها، نسبه إليها تلميذه القاضي عياض.(57)

والسَّبْتِي: ونسب إليها لأنه رحل إليها مع والده، واستوطنها زمنا، وبنى مسجدها.(58)

ولد سنة (428هـ) بتيهرت، كما ضبطه تلميذه القَاضِي عياض، وانتقل به أبوه من تيهرت إلى فاس، ثم إلى سبتة، ثم رحل إلى الأندلس ثلاث رحلات، الأولى إلى إشبيلية، وكانت في مرحلة الشبيبة، والثانية إلى المرية سنة (480هـ)، وبها لقي شيخه أبا عبد الله بن المرابط الذي سمع منه صحيح البخاري، وأجازه به، والثالثة إلى قرطبة سنة (488هـ)، وبها لقي أبا علي الجياني، وأقام بها نحو من عامين، ثم عاد إلى فاس، فأبى القضاء حتى سجن، ثم أخرج منه؛ فنزل سبتة، وأقام بها إلى أن توفي صبيحة يوم السبت لسبع بقين من جمادى الأولى سنة (505هـ).(59)

قال القاضي عياض:" فمضى فقيداً حميداً، واحتفل الناس لجنازته، وولعت العامة بنعشه، مسحاً بالأكف، ولمساً بأطراف الثياب، تبركاً به رحمة الله عليه."(60)

شيوخه

تلقى العلم على مشايخ عدة، نذكر منهم: أبو عبد الله بن المرابط سَمِعَ منه صَحِيْح البُخَارِيِّ بِالمرِيَّة، وأَبَو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيَّ، وقد روى عنه صحيح البخاري بقرطبة، كما ذكر القاضي عياض.(61)، وأَبِو عَلِيٍّ الصَّدَفِيِّ.(62) ، وأَبِو مُحَمَّدٍ المِسِيْلِي، وَلاَزمه(63)، وغيرهم كثير.

تلامذته

مُحَمَّدٍ بنُ شبونة، تفقه على يديه.(64)

الإمام القَاضِي عِيَاض بن موسى اليحصبي السبتي(544هـ)(65)

ثناء العلماء عليه

قال الإمام ابن بشكوال:"كان من أهل العلم والفضل."(66)

قال الإمام الذهبي(748هـ):" كَانَ حَسَنَ العَقْلِ، مَلِيحَ السَّمْتِ، مُتجمِّلاً نبيلاً، تَفَقَّهَ بِهِ أَهْل بَلَده، وَكَانَ يُسَمَّى الفَقِيْه العَاقلَ، وكَانَ دَيِّناً، سرِيعَ الدَّمعَة، مُؤثراً لِلطَّلَبَة، بَنَى جامع سبتة."(67)

وقال تلميذُهُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بن حمَادَة الفقِيه:"كان إمام المغرب في وقته، ولم يكن في قطر من الأقطار منذ يحي بن يحي الأندلسيّ من حمل الناس عنه أكثر منه، ولا أكثر نجابة من أصحابه."(68)

قال القاضي عياض:"رأسا في المفتين إلى أخريات أيامه...وكان كثير الكتب، حافظا، عارفا بالفقه، مليح الخط والكتابة والمحاضرة، من أعقل أهل زمانه، وأفضلهم وأسمتهم، تامّ الفضل، كامل المروءة، بعيد الصيت عند الخاصّة والعامّة، عظيم القدر."(69)

وقال صاحب جذوة الاقتباس:"وكانت له عناية كاملة بالرواية، ومعرفة الحديث، وكان حسن الخط، ولسلفه وجاهة ونباهة."(70)

جهوده في خدمة الجامع الصحيح

ذكرت فيما سبق أن الإمام أبا عبد الله محمد بن عيس ى التيهرتي، سمع الجامع الصحيح من أبي عبد الله بن المرابط، حينما كان بِالمرِيَّة.(71) ، وحينما دخل مدينة قرطبة، لقي بها أَبَا عَلِيٍّ الْجَيَّانِيَّ، فسمع منه الجامع الصحيح، وفي الغنية وهي فهرست القاضي عياض التي ذكر فيها شيوخه–رواية ذلك أيضا. (72)

ثم وقفت على سنده لرواية الإمام إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري، ذكرها عياض في صدر كتابه مشارق الأنوار، فقال:" وأما رواية أبي إسحاق النسفي فكتب إلي بها الشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني وسمعت على **القاضي أبي عبد الله التميمي** كثيرا مما قيد منها عنه قال حدثني بها أبو العاصي حكم بن محمد الجذامي عن أبي الفضل بن أبي عمران الهروي عن أبي صالح خلف بن محمد الخيام البخاري عن إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري إلا أن النسفي فاته من آخر الكتاب شيء من كتاب الأحكام إلى باب قوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله فإنه إجازة من البخاري للنسفي ثم ما بعده لم يكن في رواية النسفي إلى آخر الكتاب وذلك نحو عشرة أوراق لم يرو منها إلا تسعة أحاديث أول الكتاب آخرها طرف من حديث الإفك."(73)

الهوامش:

(1) الذهبي في "السير (12/ 401)، والحافظ في "هدي الساري" (1/ 6 – 7)

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" 2/ 185 (1562)، فتح الباري (489/1)

(3) الذهبي في "السير" 12/ 452، والحافظ ابن حجر في فتح الباري (7/1)

(4) فتح الباري (347/1)

(5) فتح الباري (347/1)

(6) جامع الأصول(895/12)

(7) فتح الباري (347/1)

(8) سير أعلام النبلاء (117/16)

(9) ترجم له في الكتب التالية: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (317/1–319)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 275.تاريخ الإسلام (194/9)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس (366/1)، سير أعلام النبلاء (90/13)، ترتيب المدارك (690/4–691)، الأنساب (372/13)، اللباب في تهذيب الأنساب (376/3)، معجم البلدان (386/5)

(10)عجالة المبتدي و فضالة المنتهي في النسب (29/1)

(11)تاريخ علماء الأندلس (179/1)

(12)المصدر نفسه (180/1)

(13)المصدر نفسه (179/1)

(14)تاريخ علماء الأندلس (180/1)

(15)تاريخ علماء الأندلس (180/1)

(16)الصلة (380/1)

(17)تاريخ علماء الأندلس (180/1)

(18)المصدر نفسه (180/1)، و بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص: 293.

(19)تاريخ علماء الأندلس (180/1)

(20)الصلة (130/1)

(21)المصدر نفسه (213/1)

(22)المصدر نفسه (482/1)

(23)المصدر نفسه (501/1)، تاريخ الإسلام (584/9)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب(324/2)

(24)المصدر نفسه (461/1)

(25)سير أعلام النبلاء (117/16)

(26)ترتيب المدارك (139/7)

(27)تاريخ علماء الأندلس (180/1)

(28)ترجم له في الكتب التالية: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (317/1–319)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 275.تاريخ الإسلام (194/9)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس (366/1)، سير أعلام النبلاء (90/13)، ترتيب المدارك (690/4–691)، الأنساب (372/13)، اللباب في تهذيب الأنساب (376/3)، معجم البلدان (386/5)

(29)عجالة المبتدي و فضالة المنتهي في النسب (36/1)

(30)معجم البلدان (339/1)

(31)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (98/1)، وسير أعلام النبلاء (90/13)

(32)توضيح المشتبه (194/9)، وهي بالتقريب مسافة (6570كلم)

(33)الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (317/1–319)، سير أعلام النبلاء (90/13)، ترتيب المدارك (690/4–691)

(34)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 275.تاريخ الإسلام (194/9)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس (366/1)

(35)سير أعلام النبلاء (333/17)

(36)متفق عليه بلفظ :"من رآني في المنام...."، وفي رواية لمسلم :" من رآني في النوم.."

(37)الصلة (306/1)

(38)فتح الباري (6/1)

(39)المحلى بالآثار (40/1–41)

(40)حجة الوداع لابن حزم الظاهري (326/1)

(41)السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، ص: 302–303

(42)الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (629/1)، تاريخ الإسلام (510/29)

(43)عجالة المبتدي وفضالة المنتهي (30/1)

(44)عجالة المبتدي وفضالة المنتهي (13/1)

(45)الصلة (629/1)، تاريخ الإسلام (510/29)

(46)الصلة (629/1)

(47)الصلة (629/1)، تاريخ الإسلام (510/29)

(48)الصلة (629/1)

(49)المصدر نفسه (629/1)

(50)الصلة (629/1)

(51)المصدر نفسه (629/1)

(52)صحيح البخاري في الدراسات المغربية للأستاذ محمد المنوني، ص: 58

(53)الصلة (629/1)، تاريخ الإسلام (510/29)

(54)الصلة لابن بشكوال (572/1)، سير أعلام النبلاء للذهبي (266/19)، تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (62/11)، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (96/1)، الغنية للقاضي عياض 27– 44

(55)الأنساب للإمام السمعاني (77/3) وعجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب (10/1)

(56)الغنية للقاضي عياض 27– 44

(57)تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (62/11)

(58)الغنية وهي فهرست القاضي عياض (29/1)، حركة الحديث بقرطبة، ص:101

(59)المصدر نفسه (29/1)

(60)الغنية وهي فهرست القاضي عياض (29/1)

(61)المصدر نفسه (29/1)

(62)المصدر نفسه (29/1)

(63)سير أعلام النبلاء للذهبي (266/19)

(64)الغنية وهي فهرست القاضي عياض (29/1)

(65)الصلة لابن بشكوال (572/1)

(66)تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (62/11)

(67)المصدر نفسه (62/11)

(68)الغنية 27– 44 قال القاضي عياض:"فمما سمعت عليه وقرأت، فأجازنيه: موطّأ الإمام مالك بن أنس، والمسند الصحيح من آثار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للبخاريّ، والمسند الصحيح المختصر من السنن لمسلم، ومصنّف السنن لأبي داود، وشرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وإصلاح الغلط لابن قتيبة، وغريب الحديث لأبي سليمان البستي الخطابي، وعلوم الحديث للحاكم النيسابوريّ، والطبقات لمسلم، والضعفاء، والمتروكين للنسائي، والمدوّنة، والملخّص لمسند الموطّأ لأبي الحسن القابسي، والتقصّي لمسند الموطّأ لابن عبد البرّ، ."

(69)جذوة الاقتباس، ص:428

(70)سير أعلام النبلاء للذهبي (266/19)

(71)الغنية وهي فهرست القاضي عياض (29/1)

(72)مشارق الأنوار (10/1)